

الكشاف

يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أسل عينيه وقال : تحشر عشرة أصناف من أمتي : بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون : أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يعضون أسننتهم فهي مدلاة على صدورهم : يسيل الفح من أفواههم يتقذروهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبايا ساذجة من قطران لازقة بجلودهم ؛ فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس . وأما الذين على صورة الخنازير : فأهل السحت . وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وطامنا الذين يعضون أسننتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف . والمعنى : كثرة أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله : " وفجرنا الأرض عيونا " القمر : 12 ، كأن كلها عيون تتفجر وقيل : الأبواب الطرق والمالك أي : تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء " فكانت سرايا " كقوله : " فكانت هباء منبثا " الواقعة : 6 . يعني أنها تصير شيئا كالأشياء لتفرق أجزائها وانبثات جواهرها . " إن جهنم كانت مرصدا للطاغين مأبى لاثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا " المرصاد : الحد الذي يكون فيه الرصد . والمعنى : أن جهنم هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مأبى بهم . أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مأبى للطاغين . وعن الحسن وقتادة نحوه قالا : طريقا وممرًا لأهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصدا للطاغين كأنه قيل : كان ذلك لإقامة الجزاء . قرئ لاثين ولبثين واللبث أقوى لأن اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه " أحقابا " حقا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يكاد يتسعمل الحقب والحقيقة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك . ألا ترى إلى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل : الحقب

ثمانون سنة ويجوز أن يراد : لاثني فيها أحقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شربا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب . وفيه وجه آخر : وهو أن يكون من : حقب عامنا .

إذا قل مطره وخيره وحقب فلان : إذا أخطأ الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لا بئين فيها حقبين جدين . وقوله : " لا يذوقون فيها بردا ولا شربا " تفسير له والاستثناء منقطع يعني : لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شربا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل الربد النوم وانشد : .
فلو شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا .

وعن بعض العرب : منع البرد البرد . وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد : وهو ما يغسق أي : يسيل من صديدهم " وفاقا " وصف بالمصدر . او ذا وفاق . وقرأ أبو حيوه : وفاقا فعال من وفقه كذا كذابا ؛ وفعال في باب فعلكله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره ؛ وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله . وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله : .

فصدقها وكبتها ... والمرء ينفعه كذابه